



تصوير المجتمع العماني في رواية "سيدات القمر" لجوخة الحارثي

عاشق شاه جهان^١

د. منصور أمين ك^٢

المدخل:

جوخة الحارثي هي كاتبة روائية عمانية التي فازت بجائزة مان بوكر العالمية لعام ٢٠١٩م. عن روايتها "سيدات القمر". وهي أول شخصية تفوز بهذه الجائزة من العالم العربي. حصلت على درجة الدكتوراه في الأدب العربي الكلاسيكي في جامعة إدنبرة.

١ . باحث الدكتوراه، قسم الماجستير والبحوث للغة العربية وآدابها، كلية أم. إي. أس ممباد، ملابرم ، كيرالا، الهند.

٢ . أستاذ مساعد ومشرف بحث، قسم الماجستير والبحوث للغة العربية وآدابها، كلية أم. إي. أس ممباد، ملابرم ، كيرالا، الهند.

هي حالياً أستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية بجامعة السلطان قابوس بمسقط. نشرت الحارثي ثلاث مجموعات من القصص القصيرة وثلاث روايات. حصلت جوخة الحارثي على جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب عن روايتها "نارينجا" عام ٢٠١٦م. رُشحت روايتها سيدات القمر لجائزة زايد عام ٢٠١١م.

نشرت "سيدات القمر" أولاً عام ٢٠١٠م. تحكي الرواية قصة ثلاثة أجيال لعائلة عمانية من عام ١٨٨٠م. إلى الوقت الحاضر ورحلة عمان من تجارة الرقيق إلى تجارة النفط. كانت عمان بلدًا واجه فيها عامل العبيد تمييزًا كثيرًا وأخر بلد ألغى العبودية عام ١٩٨٠م. وقرية العوفي الصحراوية الخيالية في عمان هي مركز قصة الأخوات ميا، أسماء وخولة. تتطور هذه القصة بسرد الذاتي لعبد الله، ابن سليمان التاجر وزوج ميا. تصف الرواية استمرار العبودية والقضايا الاجتماعية المتعلقة بها حتى بعد إلغائها بالقانون وبطيركية من خلال حياة مختلفة لأفراد الأسرة. ويصف في هذا العمل تاريخ عمان السياسي والاجتماعي والاقتصادي أيضًا. وفي هذه الرواية الأنوثة بالاسم نفسه تشمل نساء العمانيات والرقيات من أجيال كثيرة.

يمكننا أن نجد صورة حكيمة لتنمية المجتمع العماني في الرواية سيدات القمر. قال الحكام في لجنة مان بوكور الدولي أن الرواية كانت "نظرة ثاقبة خيالية وجذابة وشاعرية إلى مجتمع يمر بمرحلة انتقالية وإلى حياة كانت محجوبة سابقًا"^٣. قال رئيس لجنة تحكيم الجائزة، المؤرخ بيتاني هيوز: "من خلال مخالبة حياة الناس وحجم وخسائرهم المختلفة، نتعرف على هذا المجتمع - بكل درجاته، من أفقر العائلات العاملة هناك إلى أولئك الذين يجنون المال. من خلال ظهور ثروة جديدة في عمان ومسقط. يبدأ في غرفة وينتهي في عالم". تتحرك الرواية ذهابًا وإيابًا بين الأجيال بمرونة كبيرة، غالبًا في سياق صفحة واحدة أو حتى فقرة، بسبب إدارة الحارثي الذكية للتحويلات الزمنية وتعطي

3 The Hindu News Report, Published on 2019 May 22, Accessed on 2020 April 17, <https://www.the-hindu.com/books/books-authors/omani-writer-jokha-alharthi-wins-man-booker-literature-prize/article27203056.ece>

4 The Guardian News Report, Published on 2019 May 21, Accessed on 2020 April 17, <https://www.the-guardian.com/books/2019/may/21/man-booker-international-prize-jokha-alharthi-wins-celestial-bodies-oman>

في هذه الورقة أريد أن أذكر بعض القضايا الاجتماعية التي تصورها جوخة الحارثي في روايتها وكيف تغيرت بمرور الوقت.

التمييز ضد المرأة

التمييز ضد المرأة هو القضية الرئيسية التي تم تصويرها في الرواية. وفي محادثة مع شريف عبد الصمد، قالت الروائية جوخة الحارثي عن التمييز والنظام الأبوي الموجود في المجتمع العماني: "في عمان ظلت القواعد والتقاليد الأبوية القديمة لقرون متضمنة في مجتمعنا. فكرت كثيراً كيف كان الناس يعيشون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. حتى في بداية القرن العشرين عاشوا بطريقة مماثلة. تغيرت الأمور ببطء شديد، قبل اكتشاف النفط. ومع النفط جاءت التكنولوجيا. إذن الناس الذين عاشوا حياة بسيطة للغاية لقرون، فجأة اضطروا للتغيير. وليس من السهل تغييره. ما بدا أنه غير وارد في الستينيات والسبعينيات، عندما كان عبد الله، الشخصية الرئيسية في الرواية، لا يزال طفلاً، تم تغييره في الثمانينيات. ومن ناحية أخرى تغيرت في الألفية الجديدة. لا تزال هناك عائلات تحافظ على الحكم الأبوي وبعض لها ديناميكية أخرى في علاقاتها. أعتقد أنه من السهل امتلاك سيارة أو هاتف. لكن ليس من السهل تغيير علاقتي مع والدي أو زوجي. هذا ما يهمني. لدي ابنة صغيرة بنفسني. وأحاول مواكبة الأشياء التي تملكها، لأنها جديدة بالنسبة لي. تخيل كيف يجب أن يشعر أبأؤنا. لقد درست في الخارج ويجب أن يكون من الأسهل بالنسبة لي أن أتكيف."⁵

في جزء من رواية، أحمد، زوج لندن، يعدها بأنها ستكون زوجة أعظم شاعر في عمان. في آخر، يئن أحمد، "لم أقصد أضربك. كنت غاضب. . . لا أريد أن أفقدك، أنت ملكي، أنت لندني. أنت انتصاري وإلهامي"⁶. حتى في ذهن الشاعر، الذي كتب قصائد جميلة عن الأشياء، يحمل تفوق الذكور.

5 Abdel Samad, Sherif, Published on 2019 May 4, Accessed on 2020 April 5, <https://asiatimes.com/2019/05/novel-celestial-bodies-tackles-taboos-in-oman/>

6 الحارثي، جوخي، «سيدنا القمر»، بيروت: دارالأداب للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص: ٢١٦-٢١٧

حرية التعبير

حرية التعبير هي الجزء الأكثر شيوعاً من الفردية. لكن المواطنين في كل المجتمعات يفتقدن هذه الحرية. تم تصويرها بوضوح في الرواية جوخة الحارثي بشكل مثير، تبدأ الرواية بتفكير المرأة، ثم بالقمع القسري لهذا الفكر.

ميا في ماكينة الخياطة، تحلم بحب بلا مقابل. لقد وقعت في حب شاب يدعى علي، عاد من لندن، حيث كان يدرس. تتوق ميا إلى فرصة اللحاق بلمحة عنه. لكن إعلان والدتها القاطع يمزق الحلم: تخبر ابنتها أن عبد الله طلب الزواج منها، سيكون الاتحاد مفيداً. هذا كل ما في الأمر. تعتقد ميا أن الله يعاقبها على رغباتها السرية، وتزوجت عبد الله بشكل مطيع، وبلا حب، ثم عاقبت العالم سراً بتسمية طفلها الأول لندن، خيار يفضح التقليديين، للرجل الذي كانت تريد الزواج به. لا يمكننا تجنب هذه القضايا كما حدث في الماضي ولكن الوضع ليس مرضياً في كل مجتمع حتى الحاضر.

لم يكن الزواج الموصوف في الرواية "سيدات القمر" يعطي أي رضا للشخصيات. كل من يتذوق هذه العلاقة يؤثر على الجزء الحامض من حياتهم. تحكي الرواية القصة المروعة والهادئة للعديد من الزوجات غير سعيدة. تشارك الرواية مع هذا النوع انشغالاً شديداً بتجربتها الزوجية غير السارة من الشخصيات النسائية. القواعد والتوقعات غير المنصفة للمجتمع الإسلامي البطريكي التقليدي تعيد تركيز هذه الرواية إلى نوع البؤس الزوجي الذي كان ينعش التقاليد الأدبية الأوروبية.

تشمل "سيدات القمر"، وهي رواية رفيعة حية مع العديد من الحكايات، عدة أجيال، ولكن في قلبها قصة ثلاث شقيقات خاب أملهن في الزواج: ميا وأسماء وخولة. تتزوج ميا عبد الله، ابن تاجر الثري. ميا لا تزال متزوجة من عبد الله، لكنها تتراجع إلى أمومة منعزلة ودافئة: إنها تنام كثيراً، وتستمتع بمرارة بحرية الصمت. عندما سألها عبد الله عما إذا كانت تحبه - لطالما كانت محاصرة بها - تضحك في وجهه. يتذكر عبد الله أن ميا لم تضحك في يوم زفافها. "لم تبسّم." بعد جيل، قامت ابنتها لندن، طبيبة في مسقط، بتطبيق زوجها أحمد، الشاعر الذي يكرس كل قصيدة جديدة "لفتاة جديدة"، ويضرب زوجته^٧.

7 Wood, James, An Omani Novel Exposes Marriage and Its Miseries, Published on 2019 October

تزوجت أسماء خالد، الفنان الموهوس بالنفس والذبيكون الزوجة المثالية بالنسبة له شخصيّة ستسقط "فعل ذلك لأجل أن تدور هذه المرأة في فلكه المكتمل لا لأجل أن تشكل فلكا موزيا لنفسها". في نهاية المطاف، تصنع أسماء سلامها مع زوجها النرجسي، ولكن فقط من خلال أن تصبح "لها كفلك قائم بذاته". هذا الفلك أمومي: تكرس نفسها للأولاد الأربعة عشر التي تنجبها.^٨

خولة، بعد سنوات عديدة من الصبر المخلص، تتزوج ناصر، حبيبها الطفولية، التي تنطوي فكرتها على الزواج على قضاء معظم وقته في "كاندا" مع صديقه، وتعود كل عامين لتلقيح زوجته. كان ناصر سيظهر في عمان بملابس فاخرة للأطفال، تعكس خولة، لكن لم يكن في المقاسات المناسبة لأنه لم يكن يعرف حتى كم يبلغون من العمر. ينتهي زواج خولة بالطلاق. فتحتحولة صالون التجميل في مسقط.^٩

ترتبط حالات الطلاق أو الحياة الزوجية غير المرضية بالقضايا الاجتماعية المذكورة أعلاه مثل تفوق الذكور ونقص حرية التعبير والزواج دون أي خيارات أو مصالح للأزواج. لتبقى قصة أسماء مع خالد استثناء في تلك السلسلة من الإخفاقات، التي تؤكد انهزام المرأة واستسلامها أمام مجتمع يتفنن في إعادة إنتاج البطيركية مهما تقدم في الزمان والمكان.

عبودية

خطت القصة من "سيدات القمر" تنتشر مع منظور من الشخصيات التي تعتبرها مشية في المجتمع العماني. هنا كأصوات للنساء والرجال المستعبدين، وأولئك الذين كانوا مستعبدين سابقًا - تم إلغاء الرق في عمان فيأواخر عام ١٩٧٠م. قال جوخة الحارثي عن الرواية بمناسبة استلام جائزة مان بوك: "إنها تمس موضوع العبودية. أعتقد أن الأدب هو أفضل منصة لإجراء هذا الحوار".^{١٠}

7, Accessed on 2020 April 26, <https://www.newyorker.com/magazine/2019/10/14/an-omani-novel-exposes-marriage-and-its-miseries>

٨ الحارثي، جوخي، «سيدات القمر»، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص: ١١٧

٩ المصدر نفسه ص: ١٨٥

10 The Hindu News Report, Published on 2019 May 22, Accessed on 2020 April 17, <https://www.thehindu.com/books/books-authors/omani-writer-jokha-alharthi-wins-man-booker-literature-prize/article27203056.ece>

نتعلم تدريجياً أن والد عبد الله، سليمان التاجر الثري، لميكسبثوتهلينس من بيع التمور، وعمله اليومي، ولكن من تجارة الرقيق. واحدة من أكثر الشخصيات حيوية في الرواية وأكثر غموضاً في الوضع، امرأة تدعى ظريفة، وهي العبد التي أصبحت عشيقة سليمان والتي رفعت عبد الله إلى حد كبير بعد وفاة والدتها المبكرة. وُلدت امرأة من شيخ محلي، وتم بيعها إلى سليمان التاجر في سن السادسة عشرة. قوية، كبيرة، وأميرة، مقتبسة متقلبة من الأمثال والحكمة التقليدية، يمكنها أن تأتي وتذهب كما تشاء بين النساء الأكبر سناً، المحمية لصالح سليمان. على عكس الشخصيات الأخرى، التي تتحرك انعكاساتها ذهاباً وإياباً عبر الأجيال، لا تعرف ظريفة إلا القليل عن ماضيها، ولا تختار الكثير لتعلم المزيد. تخبرنا الحارثي أن أسلاف ظريفة اختطفوا من كينيا عبر زنجبار من قبل القراصنة في أواخر القرن التاسع عشر، عندما كان العمانيون الأثريون يتهربون من الاتفاقية التي عقدها السلطان مع البريطانيين لحظر التجارة الرقيق. لكنها تشارك مع النساء الأكثر امتيازاً مع اناتها مع الحداثة.

نرى صورة ظريفة كالعبد حتى بعد أن حررتها الحكومة، لم تكن تريد أن يخلو عقلها من عبودية سليمان التاجر. ولكن ابنها، سنجار، يضايقه العيش في الماضي الذليل: "افتحي عيونك، الدنيا تغيرت وأنت ترددين حبابي وسيدي، كل الناس تعلموا وتوظفوا وأنت مثل ما أنت وعبد سليمان التاجر... نحن أحرار، كل واحد سيد نفسه، ما حد سيد حد، أنا حر، أسافر كما أريد...". يفيب وعده، وعندما يكبر ومع أطفاله، يغادر عمان إلى الكويت. تسافر ظريفة هنا كإجباره على تغيير رأيه، لكن هي عود خالي الوفاض، مستنكرةً "الأفعى التي تزوجها ابنها"^{١١}

من ناحية أخرى يمكننا أن نرسل يمان التاجر في شيخوخته، والتذمر على العبيد لربطهم وضربهم. لا يستطيع حتى أن يعرف عندما يخبره ابنه أن الحكومة حررتهم. قال له كيف يمكن للحكومة تحرير عبيد بلا إذن مني.

في محادثة مع شريف عبدا لصمد، جوخة الحارثي تحدثت عن ظريفة وظروف الشقوق التي وصفتها في الرواية. قالت: "إن الكتابة عن العبودية في عمان تتطلب

١١ الحارثي، جوشي، «سيدنا القمر» بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص: ٩٤

الكثير من الشجاعة، حيث أن الموضوع لا يزال من المحرمات إلى حد كبير. ومع ذلك فإنه يؤثر على الكثير من الأفراد الذين يعيشون في مجتمعنا وذرية العبيد هناك. كان موضوعًا مهمًا جدًا بالنسبة لي، من أجل فهم ديناميكيات مجتمعنا، لقد أجريت الكثير من الأبحاث، ولكن لم أجد العديد من المستندات في عمان. ما ساعد حقًا هو المكتبة البريطانية وأرشيف جامعة أدنبرة. هناك اكتشفت كيف تمبيع العبيد وإرسالهم إلى عمان كما أجريتم قابلات مع العديد من كبار السن الذين مازالوا يتذكرون الكثير من القصص، بالطبع هناك وجهات نظر مختلفة، ففي الرواية على سبيل المثال، ظريفة، التي كانت عبدة، لاتزال قريبة من الأسرة التي تمتلكها، بينما يريد ابنها الغاضب التخلص من نير العبودية".¹²

الخاتمة:

نجد أن كل مجتمع واجه كثيرا من القضايا في تاريخ الأجناس البشرية. مع مرور الوقت يتغير تعريف المفهوم الاجتماعي وقيمه. بصفتهم هواة تاريخي واجتماعي، يجب على المتعلمين متابعة تغيرات المجتمع والاعتراف بذلك من أجل تطوير المجتمع نفسه. بالنظر إلى تاريخ كل المجتمعات، يمكننا أن نفهم ما كنا عليه في الماضي وما هو مجتمعنا الآن. هذا التحول الأفكار بين الماضي والحاضر ضرورة لتربية المجتمع الجديد. فعلت جوخة الحارثي الشيء نفسه لتذكر مجتمعها للمستمعين في جميع أنحاء العالم. هذا دور الأدب في تذكرك الناس دائماً عن الماضي وتوجيههم للعيش بشكل أفضل في المستقبل. بدون أي شك يمكننا القول أن جوخة الحارثي تفوز في التعامل مع هذا الموضوع بشكل أفضل.

12 Samad, Sherif Abdel, Published on 2019 May 4, Accessed on 2020 April 5, <https://asiatimes.com/2019/05/novel-celestial-bodies-tackles-taboos-in-oman/>

المصادر والمراجع:

- ١ . جوحى الحارثي. "سيدات القمر". بيروت: دارالآداب للنشر والتوزيع، ٢٠١٠. ٢٢٤. العربية.
2. Report. The Hindu News. 22 May 2019. English. 17 April 2020. <<https://www.thehindu.com/books/books-authors/omani-writer-jokha-alharthi-wins-man-booker-literature-prize/article27203056.ece>>.
3. Report, The Guardian News. The Guardian. 21 May 2019. English. 17 April 2020. <<https://www.theguardian.com/books/2019/may/21/man-booker-international-prize-jokha-alharthi-wins-celestial-bodies-oman>>.
4. Samad, Sherif Abdel. Asia Times. 4 May 2019. 17 April 2020. <<https://asiatimes.com/2019/05/novel-celestial-bodies-tackles-taboos-in-oman/>>.
5. Wood, James. "An Omani Novel Exposes Marriage and Its Miseries." 7 October 2019. The New-yorker. Web page. 26 April 2020. <<https://www.newyorker.com/magazine/2019/10/14/an-omani-novel-exposes-marriage-and-its-miseries>>.